

آيات تمني الموت في القرآن الكريم (دراسة عقائدية)

م.د. مدين عبد خلف

مديرية تربية صلاح الدين / قسم تربية تكريت

/ b (Wishes for death in the Holy Qur'an an ideological study) that included two papers. In the first topic, I mentioned the reading verses indicating the permissibility of wishing for death, mentioning some of the sayings of the interpretation in that, and in the second topic the purpose of creating man in the Holy Qur'an and not Self-killing and included in three demands- :

In the first application I dealt with monotheism, in the second demand the Istikhlaf, and in the third demand for justice, and I mentioned in this topic that a person must be optimistic about life, serious about working in it, and two people must establish justice among people, regardless of their language, their jobs, or their conditions Social.

الملخص

الحمد لله رب العالمين ، والصلاه والسلام على نبينا محمد ﷺ وعلى اله وصحبه اجمعين .
وبعد؛ فهذا ملخص البحث الموسوم / ب(آيات تمنى الموت في القرآن الكريم دراسة عقائدية) تضمنته مبحثين ، تناولت في المبحث الاول وذكرت فيه الآيات القرآنية الدالة جواز تمنى الموت ذاكرا بعض اقوال اهل التفسير في ذلك ، وتناولت في المبحث الثاني الغاية في خلق الانسان في القرآن الكريم وعدم قتل النفس وضمنته في ثلاث مطالب: تناولت في المطلب الاول التوحيد ، وفي المطلب الثاني الاستخلاف ، وفي المطلب الثالث العدل، وقد ذكرت في هذا المبحث يجب على الانسان ان يكون متفائل بالحياة ، جادا بالعمل فيها ، ويجب على حكام ان يقيموا العدل بين الناس ، دون النظر الى لغتهم او وظائفهم او وأحوالهم الاجتماعية.



Summary:

Praise be to God, Lord of the worlds, and peace and blessings be upon our Prophet Muhammad () and upon his family and all his companions.

And after:

This is the summary of the research marked

المقدمة

المبحث الأول

الآيات الدالة على تمنى الموت

• الآيات القرآنية الدالة على جواز تمنى الموت

وتفسيرها

١- قال تعالى ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [٢٢] فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ [مَرْيَم] من الآية ٢٢ الى الآية ٢٣ .

قال الإمام ابن كثير في تفسيرها وقالت مريم لما أجاها المخاض، وهو الطلق، إلى جذع النخلة ﴿يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ [٢٣] ﴿مَرْيَمُ الْآيَةَ ٢٣﴾ لما تعلم من أن الناس يقذفونها بالفاحشة؛ لأنها لم تكن ذات زوج وقد حملت وولدت، فيقول القائل أنى لها هذا؟ ولهذا واجهوها أولاً بأن قالوا: ﴿يَمْرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [٢٧] يَأْخُذْتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ [مَرْيَمُ مِنْ الْآيَةِ ٢٧ إِلَى الْآيَةِ ٢٨] فجعل الله لها من ذلك الحال فرجا ومخرجا، وأنطق الصبي في المهد بأنه عبد الله ورسوله، وكان آية عظيمة ومعجزة باهرة صلوات الله وسلامه عليه وهذا فيه جواز تمنى الموت^(١).

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط الله المستقيم، فدعا ﷺ قومه ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً وجاهد حتى توفاه الله بعد أن كتب الله له النصر والعزة والرفعة، فأمن به خلق كثير.

ولم تزل كتب العلماء وأقوالهم المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ المصدر الوحيد لاعتقاد الفرقة الناجية، وعليها القول في بيان أصول العقيدة الصحيحة قديماً وحديثاً حتى وقتنا الحاضر وخلق الإنسان ليستخلفه في الأرض ويعمرها بإقامة شرع الله فيها ونهى ربنا عن قتل الإنسان وكذلك عدم تمنى الموت لما فيه من مخالف لعدم عمارة الأرض وإقامة الشرع إلا في بعض الحالات من وقع الفتن وما إلى ذلك جوزها العلماء وما هذا الموضوع إلا ليسب تلك الامور بكل تفاصيلها لذا اسميته (آيات تمنى الموت في القرآن الكريم دراسة عقائدية) واشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة وأسأل الله التوفيق والسداد في العمل والحمد لله رب العالمين.

الباحث

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤١٥).

«آيات تمنى الموت في القرآن الكريم (دراسة عقائدية)»

م.د. مدين عبد خلف || ٩٦٧

ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا حان أجله، وانقضى عمره؛ لا أنه سأل ذلك منجزاً، كما يقول الداعي لغيره: «أماك الله على الإسلام».

ويقول الداعي: «اللهم أحيينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين».

ويحتمل أنه سأل ذلك منجزاً، وكان ذلك سائغاً في ملتهم، كما قال قتادة: قوله: «تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» [يُوسُفُ الآيَة ١٠١] لما جمع الله شمله وأقر عينه، وهو يومئذ مغمور في الدنيا وملكها وغضارتها، فاشتاق إلى الصالحين قبله، وكان ابن عباس يقول: ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف، عليه السلام.

وكذا ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس: أنه أول نبي دعا بذلك. وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام. كما أن نوحاً أول من قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ [نُوحُ الآيَة ٢٨] ويحتمل أنه أول من سأل نجاز ذلك، وهو ظاهر سياق قتادة، ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا^(٢).

قلت: إلا بنا تقدم في بيان ذلك من وقوع الفتن وما إلى ذلك أو فليقل كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

(٢٤٤٤).

٢- قال تعالى ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف الآيَة ١٢٦]. قال ابن كثير: (أما إذا كان فتنة في الدين فيجوز سؤال الموت، كما قال الله تعالى إخباراً عن السحرة لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهدهم بالقتل قالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف الآيَة ١٢٦].

٣- قال تعالى ﴿* رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يُوسُفُ الآيَة ١٠١].

قال ابن كثير في تفسيرها: هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه عز وجل، لما تمت النعمة عليه، باجتماعه بأبويه وإخوته، وما من الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل، كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه. قاله الضحاك، وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف، عليه السلام، قاله عند احتضاره، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة، رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ جعل يرفع أصبعه عند الموت، ويقول: «اللهم في الرفيق الأعلى، اللهم في الرفيق الأعلى»، اللهم في الرفيق الأعلى^(١).

(٢) تفسير ابن كثير (٤١٤/٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٣٧) وصحيح مسلم برقم

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ [الجمعة الآية ٦] قال: قال ابن عباس: لو تمنى اليهود الموت لماتوا. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا عثمان، سمعت الأعمش -قال: لا أظنه إلا عن المنهال، عن سعيد بن جبير- عن ابن عباس، قال: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه.

وهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس.

وقال ابن جرير في تفسيره: (وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا. ولرأوا مقاعدهم من النار. ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا».) حدثنا بذلك أبو كريب، حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ (١).

وقال أيضا: ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة الآية ٦ الى الآية ٨] فهم - عليهم لعائن الله- لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، دعوا إلى المباهلة والدعاء (٢) تفسير الطبري (٣٣١/١).

يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيا الموت فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي» (١).

٤- أما قوله تعالى ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [البقرة من الآية ٩٤ الى الآية ٩٥].

٥- وقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة من الآية ٦ الى الآية ٨].

قال ابن كثير في تفسيرهما: أي: ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب. فأبوا ذلك على رسول الله ﷺ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة الآية ٧] أي: بعلمهم بما عندهم من العلم بك، والكفر بذلك، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ [الجمعة الآية ٦] فسلوا الموت.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن عكرمة، قوله: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ

ما قارب القول الأول؛ فإنه قال: القول في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة الآية ٩٤] وهذه الآية مما احتج الله به لنبيه ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجرة، وفضح بها أحبارهم وعلماءهم؛ وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ إلى قضية عادلة بينه وبينهم، فيما كان بينه وبينهم من الخلاف، كما أمره أن يدعو الفريق الآخر من النصارى إذا خالفوه في عيسى ابن مريم، عليه السلام، وجادلوه فيه، إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة^(١).



على أكذب الطائفتين منهم، أو من المسلمين. فلما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك، فلما تأخروا علم كذبهم. وهذا كما دعا رسول الله ﷺ وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة، وعتوهم وعنادهم إلى المباهلة، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران الآية ٦١] فلما رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض: والله لئن باهلتهم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف. فعند ذلك جنحوا للسلم وبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فضربها عليهم. وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه، أمينا. ومثل هذا المعنى أو قريب منه قوله تعالى لنبيه ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴿١٢١﴾﴾ [مريم الآية ١٢١]، أي: من كان في الضلالة منا أو منكم، فزاده الله مما هو فيه ومد له، واستدرجه، كما سيأتي تقريره في موضعه، إن شاء الله .

فأما من فسر الآية على معنى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة الآية ٩٤] أي: إن كنتم صادقين في دعواكم، فتمنوا الآن الموت. ولم يتعرض هؤلاء للمباهلة كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم، ومال إليه ابن جرير بعد

(١) تفسير الطبري (٣٣٣/١).

وطبيعة العلاقة بينهما على النحو الآتي:
الغَايَةُ لَعْنَةٌ: المدى والراية، والجمع غَايٌ وَغَايَاتٌ،
وَعَيَّتُ غَايَةً بَيَّنْتُهَا وَغَايْتُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا أَي نِهَايَةَ
طَاقَتِكَ أَوْ فَعْلِكَ^(٢). وقال الجرجاني: (ما لأجله
وجود الشيء)^(٣).

واصطلاحًا: هي المدى النهائي الذي من أجله خلق
الله الإنسان وسخر له الكون تحقيقًا لتوحيد الله
تعالى وليقوم بواجب الخلافة على أساس العدل^(٤).
وفي ضوء استقراء النصوص القرآنية، يتبين أن
الغايات التي بُعث من أجلها الرسل، وأنزلت لبيانها
الكتب، وشرعت من أجلها الشرائع، والتي قامت
عليها الحياة وعدم قتل النفس هي ثلاث: توحيد
الله تعالى، واستخلاف آدم وذريته في الأرض،
والعدل الذي هو أساس العمل، ولاحظت أن هذه
المنطلقات قد طبق قواعدها الرعيل الأول، مما
يبين كيفية فهمهم لهذه المعاني والغايات.

فتضمّن هذا المبحث أربعة مطالب وهي كما يأتي:

- المطلب الأول: التوحيد
- المطلب الثاني: الاستخلاف
- المطلب الثالث: العدل
- المطلب الأول: التوحيد

(٢) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير
(٤٥٧/٢).

(٣) التعريفات ص ١١٥.

(٤) ينظر: التربية الإسلامية للأولاد منهجًا وهدفًا وأسلوبًا،
عبد المجيد طعمة حلبي (ص ٣٨-٣٩).

المبحث الثاني

الغاية من خلق الإنسان في القرآن وعدم قتل النفس

ما خلق الله تعالى الإنسان عبثًا، بل خلقه لغايات
وأهداف، ذكرها القرآن الكريم، وأكدها السنة
النبوية، وفهمها الصحابة رضي الله عنهم والتابعون
لهم بإحسان، وعملوا على تحقيقها، وهي غايات
وأهداف جاء بها الإسلام، وربّي النبي ﷺ صحابته
رضي الله عنهم عليها فحملوها وربّوا من بعدهم،
فكانت تربية متتالية يحمل همّها كلّ جيل ويسلمها
لمن بعده.

والتربية عملية هادفة مقصودة لا بد من تحديد
أهدافها وإلا سارت بغير وعي ولا رشاد، والتفسير
القرآني للوجود الإنساني ينقسم على قسمين
رئيسين: الغايات، والتي تشتمل على الأغراض
والمقاصد النهائية التي يراد من التربية إنجازها،
وتحقيقها على المستويات الفردية والاجتماعية
والعالمية، والأهداف والتي تشتمل على أغراض
ومقاصد مرحلية لتحقيق الغايات^(١). وهناك أهداف

إجرائية سلوكية أكثر تشعبًا وأوسع مدى تسمّى
أغراضًا. وسأعرّف بكلّ من الغايات والأهداف

(١) ينظر: أهداف التربية الإسلامية، د. ماجد عرسان
الكيلاني (ص ١١).

«آيات تمنى الموت في القرآن الكريم (دراسة عقائدية)»

م.د. مدين عبد خلف || ٩٧١

وقال ابن عجيبة: (وذلك أن الله تعالى لمّا خلق آدم، وأهبطه إلى الأرض، أخرج من صلبه نسيم بنيه، بعضهم من صلب بعض، على نحو ما يتوالدون، قرناً بعد قرن كالذر، وكان آدم بنعمان، وهو جبل يواجه عرفة، وقال لهم حين أخرجهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ فأقروا كلهم، قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْتَ رَبَّنَا، شَهِدْنَا بِذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِنَا؛ لِأَنَّ الْأَرْوَاحَ حِينَئِذٍ كَانَتْ كُلُّهَا عَلَى الْفِطْرَةِ، عَلَامَةٌ دَرَاكَةٌ، فَلَمَّا رَكِبَتْ فِي هَذَا الْقَالِبِ نَسِيَتِ الشَّهَادَةَ، فَبَعَثَ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ يُذَكِّرُونَ النَّاسَ ذَلِكَ الْعَهْدَ، فَمَنْ أَقْرَبَهُ نَجَا، وَمَنْ أَنْكَرَهُ هَلَكَ) (١).

وقال القرطبي: (روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (أُخِذُوا مِنْ ظَهْرِهِ كَمَا يُؤْخَذُ بِالْمِشْطِ مِنَ الرَّأْسِ). وجعل الله لهم عقولاً.. وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم وأن لا إله غيره، فأقروا بذلك والتزموه، وأعلمهم بأنه سيعث إليهم الرسل، فشهد بعضهم على بعض. قال أبي بن كعب: وأشهد عليهم السماوات السبع، فليس من أحد يولد إلى يوم القيامة إلا وقد أخذ عليه العهد) (٢).

فهو إذا عمود الوجود وأساسه، ومن أجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، فما من رسول أرسله الله إلى العباد إلا وكان التوحيد أساس دعوته وجوهرها، فالغاية العظمى لجميع الرسالات هو الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك، وقد أثنى الله تعالى على

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٥٧٠/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٠/٧).

إن الله تعالى واحد قديم أزليّ تفرد بالوحدانية والكمال، فهو تبارك تعالى فرد أحد صمد، ولم يزل كذلك، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وقد بدأت رحلة معرفة التوحيد لبني البشر منذ عهد أبينا آدم عليه السلام حينما حصل معه ومع ذريته ما ذكره الله تعالى حيث يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف الآية ١٧٢].

بين الشنقيطي أن في هذه الآية الكريمة وجهين من التفسير: أحدهما: أن معنى أخذه ذرية بني آدم من ظهورهم: هو إيجاد قرن منهم بعد قرن، وإنشاء قوم بعد آخرين، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام الآية ١٣٣]، وثانيهما: في معنى الآية: أن الله أخرج جميع ذرية آدم من ظهور الآباء في صورة الذر، وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، ثم أرسل بعد ذلك الرسل مذكرة بذلك الميثاق الذي نسيه الكل ولم يولد أحد منهم وهو ذاكر له، وإخبار الرسل به يحصل به اليقين بوجوده. هذا الوجه الأخير يدل له الكتاب والسنة وقد دلت أحاديث كثيرة على أن الله أخرج ذرية آدم في صورة الذر فأخذ عليهم الميثاق (١).

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٤/٢).

الذين آمنوا من أمم سابقة فقال عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة الآية ٦٢].

وقد كانت دعوة الأنبياء والمرسلين واحدة، وتدعو إلى أمر واحد، منه تنطلق إلى إصلاح أقوامهم من الفساد وما كان فيهم من اعوجاج، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ [التحل الآية ٣٦].

وقال عز من قائل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء الآية ٢٥]. وأخبر عز وجل عن رسله نوح

وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم كانوا جميعهم يقولون لأقوامهم هذه الكلمة: ﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف الآية ٥٩] (١).

(فرسول الله ﷺ في دعوته إلى الإيمان بالله الواحد الخالق، لم يدع أنه مبتدع بل قال إنه مكمل للشرائع السابقة ومعيد للحنيفية الفطرية التي هي دين إبراهيم بل دين نوح وادم، وإنه لا تبديل لذلك الدين القيم الذي يستند إلى وحدة الله، ويترتب

(١) سورة الأعراف: الآيات ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وسورة

هود: الآيات ٥٠، ٦١، ٨٤، وسورة المؤمنون: الآيات

﴿ ١٣ ﴾ [الشورى الآية ١٣]. فأنزل الله عليه هذا القرآن الناسخ لجميع الشرائع السابقة المؤكد لما جاء فيها من دعوة لتوحيد الله سبحانه وتعالى.

وقد أثبت القرآن في أن الأصل من خلق الجن والإنس إنما هو هذه الغاية العظمى فقال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات الآية ٥٦]. إذ يذكر ربنا سبحانه وتعالى في هذه

الآية السبب من خلقه الجن والإنس وهو من أوضح الأدلة على هذه الغاية؛ لذا أحببت أن أنقل فيها أقوال المفسرين، وأتوسع في شرح الدليل قليلاً.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات الآية ٥٦]: إلا ليعرفوني. وقال الثعلبي: وهذا

قول حسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده (٣). ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

[الرؤف الآية ٨٧]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ

الْعَلِيمُ ﴾ [الرؤف الآية ٩]، وما أشبه هذا من الآيات. وعن الكلبي أيضاً: (إلا ليوحدون، فأما المؤمن

(٢) الرسالة الخالدة، عبد الرحمن عزام (ص ٢٧).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٨/١٧).

«آيات تمنى الموت في القرآن الكريم (دراسة عقائدية)»

م.د. مدين عبد خلف || ٩٧٣

الذي يصيب كل كائن ينفلت من ناموس الوجود، الذي يربطه ويحفظه ويكفل له البقاء. هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود: هي العبادة لله، أو هي العبودية لله.. أن يكون هناك عبدٌ وربُّ. عبدٌ يعبد، وربُّ يُعبد. وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار^(٣).

فعبادة الله تتمثل أساساً في الخضوع التام له سبحانه وتعالى بالتزام أوامره واجتناب نواهيه في سائر شؤون الدنيا والدين، ويضيف الشيخ شلتوت في هذا الخصوص معنى أشمل وهو يتأول الآية الكريمة فيقول: (والحق أن عبادة الله التي خلق لأجلها الجن والإنس، لم يكن سبيلها في هذه الحياة التبتل والامتناع عن الدنيا، إنما سبيلها تحقيق إرادة الله في كونه عن طريق العمل في عمارة هذا الكون، وإظهار أسرار الله الدالة على عظمتة ووحدانيته واستحقاقه وحده للعبادة والتقديس.

وهكذا يجب أن يفهم الناس أن الله لا يرضى من عباده أن يزهّدوا في الدنيا هذا الزهد العام المطلق وأن ينقطعوا في الصوامع والمساجد لعبادته ومناجاته، فهو يُناجى في الحقل، وفي المتجر، ويناجى في المجتمع، وكل تلك مناجاة يسمعها الله ويقربُ بها العبد لله^(٤)؛ لأن حقيقة هذا الخطاب إنما هو موجه إلى الإنس وإنما ذكر الجن إدماجاً^(٥).

(٣) في ظلال القرآن (٦/٣٣٨٦-٣٣٨٧).

(٤) من توجيهات الإسلام، الشيخ شلتوت (ص ١١٣).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/٢٧).

فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء^(١)، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لُقْمَانَ الآية ٣٢].

أما سعيد حوى رحمه الله فيقول في هذه الآية: (قال ابن جريج: أي إلا ليعرفوني).

أقول: فمن لم يعرفه ولم يعبده فإنه يكون قد عطلَّ الحكمة التي من أجلها خلق، وقد جاءت هذه الآية بعد ما عرض الله عز وجل علينا من آياته ما يشير إلى أن آيات الله في الكون وفي التاريخ تقتضي معرفة له، وتقتضي عبادته^(٢).

وذكر سيد قطب معنى أوسع في هذه الآية فيبين أنها تحتوي على (حقيقة ضخمة هائلة، ويبين جوانب هذه الحقيقة فيقول: (وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس تتمثل في وظيفة من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده، وأصبح بلا وظيفة، وبات حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، الذي تستمد منه قيمتها الأولى. وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى الوجود، وانتهى إلى الضياع المطلق،

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٣٨).

(٢) الأساس في التفسير (١٠/٥٥٢٤). وينظر: تفسير ابن

كثير (٤/٢٣٩).

قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَسَعِينَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكَرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُدْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرْ وَزَنَّاكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعُ السَّجَلَاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبَطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ^(٣).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ)^(٤).

ويقول محمد شديد: (بهذا المفهوم تصبح الحياة عبادة متصلة، وحين يسمو الإنسان بهذا التصور فيجعل حياته خالصة لله تصبح أعماله وأقواله صلاةً وتسبيحًا، وتتسع صورته حتى يتجاوز ذاته وحسه وأرضه، فيرى الوجود كله محرابًا تدب في الحياة، مؤلفًا من كائنات تتوجه كلها إلى الله بالدعاء والعبادة والتسبيح، وبهذه الصورة تتحقق رسالة الاستخلاف في الأرض وعمارتها)^(١).

أما ما ورد في السنة المطهرة من أحاديث فيما يتعلق بالجانب التوحيدي فهي كثيرة، أكتفي بذكر ثلاثة منها:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه رَدِيْفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: (يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، قَالَ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: (يَا مُعَاذُ)، قَالَ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ)، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: (إِذَا يَتَكَلَّمُوا) وَأَخْبِرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا^(٢).

(٣) رواه أحمد برقم (٦٩٩٤) مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (٢/٢١٣) قال الشيخ شعيب: إسناده قوي مسند الإمام أحمد ص ٥٠٣، والترمذي برقم (٢٦٣٩) (٣٧) كتاب الإيمان (١٧) باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله. وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. (٤) رواه البخاري برقم (٣٤٣٥) (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (٤٧)، ومسلم برقم (٢٨) (١) كتاب الإيمان (١٠) باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد (ص ١٢٢-١٢٠).
(٢) رواه البخاري برقم (١٢٨) (٣) كتاب العلم (٤٩) باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ومسلم برقم (٣٢) (١) كتاب الإيمان (١٠) باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا. ومعنى تأتمًا: أي تجنبًا للإثم أو خروجًا من الإثم. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤/١).

«آيات تمنى الموت في القرآن الكريم (دراسة عقائدية)»

م.د. مدين عبد خلف || ٩٧٥

• المطلب الثاني: الإستخلاف

الخلافة لغةً: من خلف، ومعناه (أن يجيء شيءٌ بعد شيءٍ يقوم مقامه... وإنما سُميت خلافةً لأنَّ الثاني يجيء بعد الأوَّل قائماً مقامه)^(١).

والخليفةُ: السلطانُ الأعظمُ، والجمع خلائفٌ وخلفاءٌ^(٢).

واصطلاحاً: هي (النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أوليائه في الأرض)^(٣).

إن الله سبحانه جعل الإنسان خليفة في الأرض، (وقد زود بجميع الخصائص الروحية والعقلية، فضلاً عن الموارد المادية لتمكينه من القيام بمهمته على نحو فعال، وهو ضمن حدود الخلافة حر الإرادة، كما أنه قادر على التفكير والمحكمة، والاختيار بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم، وعلى تغيير ظروف الحياة ومجتمعه ومجرى التاريخ، إذا رغب بذلك)^(٤).

وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ

(١) معجم مقاييس اللغة (١٧٠/٢).

(٢) ينظر: مختار اللصاح (٤٦/٦) مادة (خلق).

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ١٥٦.

(٤) الإسلام والتحدي الاقتصادي، د. محمد عمر شابرنا

(ص ٢٥٧).

وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ [الأُنْعَامُ الآية ١٦٥]، وقال جلَّ ذكروه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النُّور الآية ٥٥].

وإنما كان تعليق فعل الاستخلاف بمجموع الذين آمنوا وعملوا الصالحات وإن كان تدبير شؤون الأمة منوطاً بولاية الأمور لا بمجموع الأمة من حيث إن لمجموع الأمة انتفاعاً بذلك وإعانة عليه كل بحسب مقامه في المجتمع.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ [فاطر الآية ٣٩] وقال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ [الحديد الآية ٧].

فالخلافة في الأرض هي القيام بحفظ عمرانها ووضع الموجودات فيها في مواضعها، واستعمالها فيما استعدت إليه غرائزها^(٥)

ورد ذكر الاستخلاف في الأرض في أكثر من سورة^(٦)، بل وجعله القرآن الغاية الأساس التي

(٥) التحرير والتنوير (١٢٩/٢٢).

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٦٥، سورة النور: الآية ٥٥، سورة

ولقال قائل: إنها ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم، فما لتنازعكم وجه ولا فائدة في أمر ليس بواجب. ثم إن الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر رضي الله عنه في الإمامة، ولم يقل له أحد هذا أمر غير واجب علينا ولا عليك، فدل على وجوبها وأنها ركن من أركان الدين الذي به قوام المسلمين^(٢).

وإذن فهي منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان، في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة، وهو التكريم الذي شاءه له خالقه الكريم، يقول ابن جرير: (أي: إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقه. وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه)^(٣). وعلى هذا يضعنا هذا الإمام أمام صنفين من البشر: صنف مؤهل للخلافة، وآخر غير مهياً لها، فمن وفى بمراد الله من خلقه لهذا الخليفة فعمد الأرض وأشاع فيها العدل والعبودية لله فهو الذي يريد الله تعالى، وأما من كان كما قالت الملائكة فيه: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة الآية ٣٠] فهذا الصنف الثاني الذي قصده الإمام ابن جرير رحمه الله، وهذا ما نطق به القرآن في سورة النور حيث قال عز شأنه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى

خَلَقَ آدَمَ مِنْ أَجْلِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة الآية ٣٠] فمشيئة الله تعالى اقتضت (أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحويل والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله - بإذن الله - في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه)^(١).

والخلافة أصل في نصب إمام وخليفة؛ يسمع له ويطاع؛ لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة، وقال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة: (وأجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين، حتى قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون رضي الله عنهم عن ذلك، وقالوا لهم: إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش، ورووا لهم الخبر في ذلك، فرجعوا وأطاعوا لقريش. فلو كان فرض الإمام غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها،

فاطر: الآية ٣٩، سورة الحديد: الآية ٧.

(١) في ظلال القرآن (٥٦/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨٢/١-١٨٣).

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٤٥٢/١).

«آيات تمنى الموت في القرآن الكريم (دراسة عقائدية)»

م.د. مدين عبد خلف || ٩٧٧

الأساس لكل نبي ورسول، ومهمته أن يقيم في الناس القسط، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد الآية ٢٥]. ويوجد في القرآن ما لا يقل عن مائة تعبير مختلف لمنطوق العدل، إما مباشرة كما في كلمات العدل والقسط والميزان، أو في عبارات عديدة غير مباشرة. وإضافة إلى ذلك فإن القرآن الكريم قد نهى أكثر من مائتي مرة عن الظلم وحذر من الإثم والضلال وغير ذلك من الكلمات^(٢).

وأذكر بعضاً من الآيات القرآنية التي حثت على العدل بألوان من التعبيرات القرآنية والصيغ البلاغية، فنجد أن الله تعالى يأمر بالعدل فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [التحل الآية ٩٠]. ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء الآية ٥٨].

أو نجد أن الله تعالى يأمرنا بالعدل في ضوء أمر نبي من أنبيائه بالعدل وأن يحكم بالحق فلا يزيغ ولا يميل عنه فيقول تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ الَّذِينَ

(٢) ينظر: الإسلام والتحدي الاقتصادي ص ٢٦٨.

لَهُمْ وَلِيْبَدَّلَتْهُمْ مِّنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أُمَّتًا يُعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [الثور الآية ٥٥].

ولكي يؤدي الإنسان في وجوده على هذه الأرض دوره الحقيقي في الخلافة لابد له من مراعاة عدة دوائر من العلاقات التي تحيط به، والتي يجب عليه أن يتعامل معها بتوازن وتناسق وتواءم، فالعلاقة الأولى علاقة مع الخالق الأعلى جل في علاه، وعلاقة مع بني جنسه من الناس ممن يساويهم في المنزلة والمكانة، وعلاقة مع من هو دونه في الخلق من الكائنات المسخرة له، وكل نوع من أنواع هذه العلاقات يقتضي نوع أداء خاص من قبل الإنسان الخليفة^(١).

• المطلب الثالث: العدل

العدل هو الدعامة الرئيسة في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي، فلا وجود لإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل، ولذلك اعتنى الإسلام بتقرير هذه القاعدة وتأسيسها وتدعيمها، فأكثر الحديث عنها في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة، وركز على أن الناس سواسية أمام الشرع. إذ إن تحقيق العدل الإلهي في حياة البشرية هدف لكل مسلم فرد أو جماعة، حاكم أو محكوم.

فلقد أكد القرآن الكريم على إقامة العدل واجتثاث كل أشكال الظلم باعتبار أن ذلك هو الرسالة

(١) ينظر: فقه الوجود، أحمد الوتاري (ص ٥١).

يَضْلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ [ص الآية ٢٦].

يقول الإمام الشنقيطي في هذه الآية: (قد أمر نبيه داود فيه، بالحكم بين الناس بالحق ونهاه فيه عن اتباع الهوى، وأن اتباع الهوى، علة للضلال عن سبيل الله؛ لأن الفاء في قوله تدل على العلية... ومعلوم أن نبي الله داود، لا يحكم بغير الحق، ولا يتبع الهوى، فيضله عن سبيل الله، ولكن الله تعالى، يأمر أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وينهاهم، ليشرع لأممهم)^(١).

وفي ضوء هذا النص يُعلم الله المؤمنين بأن العدل واجب على أنبيائه، وفي هذا حث كبير على تقصي العدل وعدم الجور، فإنه من أراد أن يكون قريباً من الله تعالى فعليه أن يكون قريباً من صفات أنبياء الله تعالى، وفي مقدمتهم رسولنا محمد ﷺ، فهو مشمول بهذا الأمر إذ (أمر نبينا ﷺ، بمثل ما أمر به داود، ونهاه أيضاً عن مثل ذلك، في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة الآية ٤٢، وغيرها من الآيات)^(٢).

ويقول تعالى أيضاً لحبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ عَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبَّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/٣٣٩-٣٤٠).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/٣٤٠).

نفسى لست مستثنى من سلطة القانون الإلهي)^(٣).

وترك العدل يعدّ ظلماً، والله سبحانه وتعالى حرم الظلم وذم أهله وتوعدهم بالهلاك في الدنيا والعذاب الشديد يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم الآية ٤٢]. وقال أيضاً: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التل الآية ٥٢].

ولقد أوجب الإسلام على الحكام أن يقيموا العدل بين الناس، دون النظر إلى لغاتهم أو أوطانهم أو أحوالهم الاجتماعية، فهو يعدل بين المتخاصمين

(٣) الحكومة الإسلامية، المودودي (ص ٢٠٢).

الخاتمة وأهم النتائج

احمده سبحانه وتعالى الذي وفقني على إتمامي لهذا البحث المتواضع الذي تحدثت فيه عن الآيات القرآنية التي ذكر تمنى الموت فيها ومن خلال

كتابتي لهذا البحث توصلت إلى أهم النتائج :

١- أن دين الاسلام حث على الجهد والاجتهاد في العمل في هذه الحياة الدنيا وكأن المسلم يعيش مخلدا فيها .

٢- أن آيات تمنى الموت إنما جاءت مقيدة بظروف معينة ، مثل : الخوف من الفتنة وعدم الوقوع فيها .

٣- أن حب الموت والتضحية بالنفس إنما يكون في سبيل الأهداف السامية والعظيمة كنصرت الدين وأهله والحفاظ على الأعراض والأوطان والممتلكات .

هذا وأسأل الله عز وجل أن ينفعني بهذا البحث وكل من يطلع عليه ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ويحكم بالحق، ولا يهمله أن يكون المحكوم لهم أصدقاء أو أعداء، أغنياء أو فقراء، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰٓى ءَلَّا تَعْدِلُوْا أَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [المائدة الآية ٨] .

فإن الناس إذا شعروا بإقامة العدالة في مجتمعهم، وسيادة العدل في حياتهم، على المسلمين وغير المسلمين، تستقر نفوسهم، وتطمئن قلوبهم، وتهدأ أحوالهم، ويزدهر مجتمعهم ويعمهم الخير والأمن والأمان والسلامة والإسلام^(١).



(١) ينظر: النظام السياسي في الإسلام، د. محمد أبو فارس (ص ٥٤).

بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٧. أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه).

عبد الفتاح محمد محمد سلامة، الجامعة الإسلامية

- المدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية عشر،

١٤٠٠هـ.

٨. أهداف التربية الإسلامية، د. ماجد عرسان

الكيلاني، دار القلم، دمشق، ط/١، ١٤٠١هـ-

١٩٨١م.

٩. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. أبو

العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة

الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، (المتوفى:

١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان

- الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة:

الأولى، ١٤١٩هـ.

١٠. تأويل مشكل القرآن. أبو محمد، عبد الله

بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (المتوفى: ٢٧٦هـ)،

تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية

- بيروت.

١١. التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن محمد

بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (المتوفى:

١٣٩٣هـ)، الدار التونسية - تونس، ١٩٨٤م.

١٢. التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً

وأسلوباً، عبد المجيد طعمة حليبي، دار المعرفة،

بيروت، ط/٢، ٢٠٠٤م.

١٣. التعريفات. علي بن محمد بن علي الزين

الشريف الجرجاني، (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق

المصادر

- القرآن الكريم.

١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. أبو

العباس، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن أبي

بكر بن عبد الملك القسطلاني، القتيبي، المصري،

(المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى، الأميرية -

مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،

(تفسير أبي السعود). أبو السعود، محمد بن محمد

بن مصطفى العمادي، (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء

التراث العربي - بيروت.

٣. أساس البلاغة. أبو القاسم، جار الله، محمود بن

عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، الزمخشري،

(المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون

السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ

- ١٩٩٨م.

٤. الأساس في التفسير، سعيد حوى (المتوفى:

١٤٠٩هـ)، دار السلام، القاهرة، ط ٦، ١٤٢٤هـ.

٥. الإسلام والتحدي الاقتصادي، د. محمد عمر

شابرا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات

المتحدة الأمريكية، ط/١، ١٩٩٦م.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد

الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني،

الشنقيطي، (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر،

«آيات تمنى الموت في القرآن الكريم (دراسة عقائدية)»

م.د. مدين عبد خلف || ٩٨١

- وتصحيح وضبط: علماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٤. تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البصري، الدمشقي، (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
١٥. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٦. الحكومة الإسلامية، المودودي، تعريب: أحمد إدريس، المختار الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٧٧م.
١٧. الرسالة الخالدة، عبد الرحمن عزام، دار الشروق، بيروت، ط ٤، ١٩٦٩م.
١٨. صحيح البخاري. أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٩١. صحيح مسلم. أبو الحسين. مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري، (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٠. فقه الوجود، أحمد الوتاري، دار المأمون، الأردن، ط ١، ٢٠١١م.
٢١. في ظلال القرآن، سيد قطب، (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ.
٢٢. لسان العرب. أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري، الرويفعي، الإفريقي، (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
٢٣. مختار الصحاح. أبو عبد الله، زين الدين، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، الرازي، (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل. أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، بإشراف: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٥٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ط ١.
٢٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٧. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط ١ - ١٤١٢ هـ.
٢٨. منهج القرآن في التربية، محمد شديد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤ م.
٢٩. من توجيهات الإسلام، الشيخ شلتوت، الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر، القاهرة، ١٩٥٩ م.
٣٠. النظام السياسي في الإسلام، د. محمد أبو فارس، دار الفرقان، الأردن، ط/٢، ١٩٨٦ م.
٣١. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

